من الباكي ؟؟

قد يكون غريباً لكنه حقيقي... يمكن تحويل كل شيء إلى احتفال و قداس كما يمكن تحويل كل احتفال وقداس إلى مأساة... الأمر مرتبط بنا وحدنا و لكن، أيمكن أن يكون بكاؤنا احتفالاً وقداساً في لحظة معينة؟؟

في مدرسة صغيرة رسم المعلم صورة على اللوح... كان رساماً بارعاً و أراد أن يظهر لتلاميذه أن الفنان الحقيقي قادر و بلمسة واحدة تغيير كل شيء عن معنى الصورة.

كانت اللوحة تمثل رجلاً حزيناً جداً، و بلمسة واحدة على الشفتين اختفى الحزن من كامل اللوحة و تحول الرجل إلى رجل ضاحك يبتسم، و تغير بالتأكيد كل شيء عن معنى الصورة .

وقف فجأة أحد الأولاد و قال « هذا لا شيء.»

obeikandl.com

فقال المعلم الرسام « و ماذا تعني بأن هذا لا شيء ؟ »

أجاب الطفل « يتغير كل العالم عندما تصفعني والدتي صفعة واحدة، ربما أكون سعيداً ولكن عندما أتلقى صفعتها أبدأ بالبكاء و يصبح العالم من حولي حزيناً، أنت بحاجة للوح و فرشاة و اللوحة بحاجة لرسم و تغيير، أما والدتي فلا تحتاج شيئاً. »

إذا كنت تشعر بالسعادة في البكاء فهذا جيد و لا توجد أية مشاكل، يمكن للدموع أن تكون دموع فرح و يمكن لها أن تكون دموع حب... تظهر الدموع أنك تفيض بشيء ما بدأ يتدفق من خلالها... لا يشترط أن تأتي الدموع من الحزن؛ لا يشترط أن تأتي من العذاب... يمكن أن تكون احتفالاً و قداساً و هذا معتمد علينا، علينا أن نكون كما تريد دموعنا لأننا نعلم يقيناً إذا ما كانت تلك الدموع دموع حزن؛ دموع فشل أو دموع كآبة، و نعلم أيضا فيما إذا كانت دموع فرح أو دموع حب و امتنان أو إذا ما كانت دموع صلاة .

الدموع واحد من أعمق الأسرار فينا و يمكنه التلون بجميع الألوان و هذا متوقف على وعينا و على اللون الذي نرغب بإعطائه لها .

في يوم عيد ميلاد يوليوس قيصر و بعد الفطور قدم وفد من السناترة الرومان و تمنوا عليه أن يرافقهم برحلة في عربة ليرى هديتهم له .

جعلت صلبان لمسيحيين صلبوا على طول الطريق المؤدية إلى القصر الإمبراطوري قيصر يشعر بالفرح... أثناء سير الموكب أمر الملك بتوقف فجائي و أشار إلى أحد الرجال على الصليب قال « يبدو أن ذلك الرجل على قيد الحياة، هو يبكي و شفتاه تتحركان... لأنه يقول شيئاً و أريد أن أعرف ما هو . »

رفع المرافقون الملك على أكتافهم أقرب و أقرب لكنه لم يسمع شيئاً، و أخيراً عندما أصبحت أذنه ملامسة لشفتي الرجل سمعه يبكي و يقول « عيد ميلاد سعيد !! »

يمكن لأحدنا أن يغير كل شيء، رجل على الصليب وسيموت خلال لحظات لكنه لا يحقد و لا يتذمر و يريد قلبه أن يقول « عيد ميلاد سعيد . »

تركت هذه الحادثة على ما يبدو و هذا ما يجب أن يحدث انطباعاً عميقاً عند قيصر جعله يشعر بالخجل و الدناءة، لم يصلب المسيحيون بعد تلك الحادثة أبداً في عهد قيصر الذي شعر بالحزن و الندم على ما كان يفعل بهؤلاء الرائعين القادرين على الفرح بعيد ميلاده و قد صلبوا كهدية .

نحن من يحدد كل شيء .

اعتقد مدير كهل بأن معاونه يسرق بعضاً من سجائره في الغرفة المجاورة فناداه صارخاً « إنك تسرق السجائر.. تعال.. لقد عرفت » لكن لم يكن هناك أي جواب فكرر النداء بشكل أقوى لكن جواباً لم يأت أيضاً فذهب إلى تلك الغرفة للقاء المساعد و قال له « ألم تسمعني إلى الآن ؟ »

فأجاب « عذراً يا سيدي لم أسمع شيئاً، يبدو كأن هناك مشكلة في السمع هنا.»

أهو كذلك ؟ اذهب إلى الغرفة المجاورة و قل شيئاً لنرى فيما إذا كنت سأسمع أم لا. »

ذهب المساعد إلى حيث طلب منه و صرخ بأعلى صوته «كان بائع هوى سمين يغازل زوجتي.»

عاد إلى المدير و سأله بارتياح و عدم مبالاة « أسمعت شيئاً يا سيدي ؟ »

أجاب المدير بخجل « أنت محق، لم أسمع شيئاً... خذ سيجارة . »

إذا منحك البكاء شعوراً بالفرح، شعوراً بالهدوء و السلام؛ إذا شعرت بعد البكاء بالاسترخاء أو بالراحة من عبء ما فهذا جيد و لا تحاول كبت الدموع و إيقافها وقعت الإنسانية في العديد من الأخطاء حول بعض الأشياء مما أفقد الإنسان طبيعته و جعله صناعياً محرفاً و لا سيما بالنسبة للرجال، حيث تفرض كل المجتمعات في العالم

على رجالها عدم البكاء لأن هذا برأيهم مخالف لأحكام الرجولة .

أما بالنسبة للنساء فلا مشكلة في البكاء و العويل فهن حسب التصنيف الاجتماعي مواطنون من الدرجة الثانية والرجال من الأولى، و بالتالي على الرجل أن يكون قوياً والدموع دليل ضعف... فإذا تابعنا تعليم الأطفال حماقات كهذه لآلاف الأعوام فماذا ستكون النتيجة؟ سنبدأ بكبت الدموع و إعادتها من حيث أتت فلا يريد أحد أن يكون ضعيفاً، أما الحقيقة فبسيطة للغاية: أعطت الطبيعة غدداً دمعية للرجال مثلما أعطت للنساء، فمن الأكثر فهماً المجتمع أم الطبيعة ؟

إذا أردنا الإصغاء للطبيعة فيجب عدم كبت الدموع و من الخطورة فعل ذلك... ما الذي يحصل عندما تكبت الدموع؟ يصبح أحدنا أقل حساسية و أقل حباً، يصبح أكثر قسوة و عدوانية و يصبح سادياً، هذا ما يسببه شيء واحد فقط و هو كبت الدموع ... يمكنك أيضاً أن تصبح عصبياً

ومعتلاً نفسياً... تعتبر نسبة الرجال الذين ينتهي بهم المطاف في المصحات و المشافي العصبية أربعة أضعاف ما هي عند النساء، و السبب هو أن المرأة تجيد استخدام الدموع والبكاء و تعرف كيف تتخلص من الضغوط و التوترات بمساعدتها.

أما الرجل فيستمر بمراكمة تلك التوترات داخله حتى يبلغ مرحلة تستحيل معها العودة، و قد يفضل عندها القفز من الطابق الستين ليجد أفضل حل مناسب !!!

هناك قصص إنسانية غريبة بالفعل... قفز أحد الرجال من الطابق الثامن عشر يقصد الانتحار، لمح أثناء هبوطه أحد أصدقائه على نافذة منزله فأومأ له بقصد التحية، رد الصديق بإشارة مماثلة و للقصد نفسه، وكان عندها صديقنا قد وصل إلى الأرض مفارقاً الحياة .

جاء الجيران إلى الصديق و قالوا « هل رأيت شيئاً ؟ » فأجاب بنعم... فقالوا « لقد انتحر صديقك !! »

فأجاب مستغرباً « أهو كذلك ؟ لا يمكن فقد مر بجوار نافذتي منذ لحظات و تبادلنا التحية ! »

منع الرجل من أن يكون طبيعياً لذلك يمكنه أن يصبح جندياً يقاتل؛ يمكنه أن يصبح شخصية قاسية تمكنه من الصراع و المنافسة في العالم، أما المرأة فلم يتوجب عليها خوض الحروب و النزاعات العالمية لذلك سمح لها بالبكاء... المسألة إذاً مسألة تفوق رجولي و على الرجل ألا يبكي.

يمكن القول و بكل بساطة أن هذا مخالف للطبيعة... قلما تجن النساء لأنهن يتخلصن من خلال الدموع من كل أنواع التوترات و لا يراكمن ما لا قدرة لهن على احتماله.

ينتحر الرجال بنسبة تعادل أربعة أضعاف نسبة انتحار النساء رغم أن نسبة النساء التي بالانتحار و لا تقدم عليه هي أربعون ضعفاً على الأقل ... بقيت النساء أقرب إلى الطبيعة بسبب استبعادهن من صراع القوة و السيطرة الذي احتكره الرجال... كثيراً ما نراه محنة سبباً للفرح.

يجعل الرجل حياته و باستمرار أكثر توتراً و عصبية حتى تصل تلك الحياة إلى مرحلة يصعب تحملها من العذاب المستمر مما قد يجعل الانتحار أفضل حل ممكن... أما النساء فيتحدثن عن الانتحار فقط أحياناً باستخدام الحبوب المنومة، أما القفز من ارتفاعات شاهقة فلا يقدمن عليه لأنه خطير ببساطة... عدة حبات منومة كافية لإرعاب الزوج و السيطرة عليه فهو يخشى أن يتهمه الآخرون بإساءة معاملة زوجته... تغط الزوجة في نوم عميق بعد تناول تلك الحبوب يأتي الطبيب ليقول للزوج « لولا قسوتك عليها لما حاولت الانتحار ... » هذا ما يحصل أحياناً عن طريق الخطأ و نظنه محاولة انتحار.

من الجميل أن نستمتع بالدموع و ألا نحتفظ بها للتعبير غن لحظات القلق، التوتر الكآبة و الحزن فهذا ليس هو الاستخدام الصحيح لها... استدع دموعك عندما تكون في حب و استدعها عندما تشعر بالسلام؛ استدع دموعك

عندما تشاهد جمال غروب الشمس و استدعها عندما تشاهد و تقابل من تحب.

عندما نقابل من نحب تعصف بنا رياح لا نألفها تحول قلوبنا عن طريق نبضها لتتركنا عاجزين لا حول لنا و لا قوة وتتقاذفنا أمواج الدموع جيئة و ذهاباً... هل شعرت بشيء شبيه بهذا في صدرك ؟ إذا كان نعم فقد عرفت الحب {انتبه : أكتب علماً و ليس شعراً} و لكن من الذي يبكي عندها ؟ من هو الباكي ؟؟

وجودك الحقيقي الأصلي هو الذي يبكي عند الحب، أما المزيف فلا يستطيع البكاء... لا يستطيع المرائي البكاء، الحقيقي وحده من يستطيع ذلك؛ وحده من يجد إليه سبيلا.

أن ترى من تحب يعني أن يلتقي قلباكما بانسجام وتوافق، و هذا يعني أنه على القلب الأضعف التغير ليصبح متناغماً مع الأقوى { تذكر قول أشو « الجنة ليست للضعفاء » } على القلب الضعيف أن يتخذ إيقاعاً جديداً و متناغماً مع

الأقوى و عليه أن يتخذ طول موجة جديد... أما الشعور بالعجز فوهم نقع فيه لأننا اعتدنا النظر للدموع و البكاء كدليل ضعف و عجز.

الدموع قوة و ليس ضعف !!

تظهر دموعك أنك لا زلت حياً و بأنك لم تجف؛ تظهر بأنك لم تفقد نسغ حياتك؛ تظهر دموعك بأن قلبك لا زال يشعر و بأنه لا زال قادراً على الرقص ... تظهر الدموع أن قلبك لا زال قادراً على أن يطير فرحاً.

تنتشر في الشرق و لا سيما في الهند كما تنتشر عندنا في أمة العرب العديد من الخرافات تحت اسم معجزات دينية تتعلق بالمعلمين... هناك في إحدى المناطق الهندية تمثال مشهور لأحد المعلمين و هو المهافير و هو معلم عاش في زمن بوذا و إليه تنسب الديانة اليانية... أتت شهرة هذا التمثال من كونه قد صنع من حجارة لم يعثر عليها في الهند و إنما عثر عليها في إفريقيا، الغريب في التمثال كما يدعي

أنصار المهافير أنه يتصبب عرقاً و في عينيه دموع و يقولون بأنه يبكي حباً لهم، و لذلك فهم يبادلونه البكاء.

قدمت امرأة إلى أوشو و قالت « لم تذرف عيناي دموعاً بفعل شيء كما تفعل بفعل دموع التمثال الحجري للمهافير.»

فأجابها بأنه قد رأى التمثال و بأنها لم تفهم الموضوع أبداً... كان التمثال في الحقيقة عبارة عن معبد صغير مقام على أعمدة في وسط بحيرة، كانت حجارة التمثال ذات مسام وقابلة لامتصاص الماء، أما البحيرة فكانت في منطقة صحراوية حارة مما جعل حجارة التمثال تمتص كمية كبيرة من أبخرة الماء المحيطة بها و بالتأكيد عند مرحلة معينة سيبدأ بعض الماء بالظهور على التمثال في الشتاء، أما في الصيف حيث جفاف الصحراء فلا و جود لشيء على الإطلاق... ثم قال للمرأة « أستغرب كيف تبكين لدموع تمثال حجري و لا تبكيك دموع الملايين في العالم، لا يفعل هذا التمثال شيئاً و إنما هي حجارة لم تألفها. »

تجعل مواقف كهذه من بعضنا غضاباً للغاية لأننا نراها مساساً بمقدساتنا و مشاعرنا الدينية و ما هي في الحقيقة إلا محاولة لجعل تلك المرأة أكثر إدراكاً لأهمية الدموع، فإذا كانت قادرة على البكاء بفعل وهم دموع تمثال حجري فماذا عن الوجود الإنساني ؟

لكن الدموع هي أحد أشيائنا المكبوتة... نقل عن فريدرك نيتشه قوله بأنه كان يحافظ على ابتسامة دائمة لأنه يخشى أن تجتاح الدموع عينيه بغيابها، أنها غطاء كاذب إذاً يستخدمه لإخفاء الدموع الحقيقة و منعها من الظهور... هذا طبيعي بالنسبة لرجل ألماني... فكيف يمكن لرجل ألماني أن يبكي و يذرف الدموع ؟!!!!

بنسب أكثر أو أقل نعتبر جميعا ألمانيون كنيتشه حيث تقودنا نظرية الذكورة و نحاول إثبات و فرض التفوق الذكوري... لكن الدموع أثمن من ذلك بكثير من السيطرة الذكورية التي هي اختلاق عانى الرجال منه

طويلاً... اسمح للدموع بالظهور فهي ليست دليل ضعف وإنما دليل الفرح العظيم.

و تسألني من الباكي... إنه آت؛ إنه وجودك الحقيقي؛ إنه وجودك العميق حيث لا رجال و لا نساء؛ إنه وجودك العميق و ليست بطاقتك الشخصية...

يقول الشاب لوالديه في المنزل إني مغادر أريد الثمالة و أريد النساء ... أريد المغامرة !!

ينهض الوالد العجوز من الكرسي.

يبكي الشاب و يقول ... لا تحاول منعي يا والي فيجيب لا أريد منعك بل إني قادم معك.

كل ما نحتاجه هو القليل من الفهم الإضافي لمشاعرنا وعواطفنا فلكل منها مكانه و وظيفته في تحقيق التناغم الكلي لوجودنا، لكننا و للأسف لا نزال نحافظ على جهلنا بإمكاناتنا و أبعادنا... القليل من التنبه و اليقظة وتذكر: الطبيعي هو الأسمى و غير الطبيعي هو المزيف والدخيل.

أراد أحد الحاخامات أن يجرب حظه بالمقامرة لأول مرة في حياته... هب إلى ميدان سباق الخيل، و قبل بداية السباق الأول رأى كاهناً يرسم إشارة غريبة على أحد لأحصنة ثم قامر عليه بدولارات عشر... انتهى السباق الأول و فاز الحصان مما جعل الحاخام يطمئن.

تابع صديقنا مراقبة الكاهن فرآه يرسم إشارات غريبة على حصان آخر فقامر عليه بخمسين دولاراً... جرى السباق ففاز الحصان و أكسب الحاخام خمسمائة دولار .

تابع مراقبة الكاهن ليختار حصاناً جديداً و هذا ما حصل، رسم الكاهن إشاراته هذه المرة على حصان ثالث فقامر الحاخام بالدولارات الخمسمائة كلها... بدأ السباق فتعثر الحصان على الحاجز الأول و مات .

ذعر الحاخام لما حصل فذهب إلى الكاهن ليحتج فأجابه الأخير« لا أستطيع فعل شيء إذا كنت لا تعرف الفرق بين إشارة الصليب و غيرها.»

هناك الكثير من سوء الفهم، فقد لا نعلم الحقيقي من الوهمي؛ فقد لا نعلم ما الذي فرضه الآخرون علينا و ما الذي وهبنا إياه الوجود كهدية.

عليك أن تميز و تختار الطبيعي دائماً و حتى لو كان مخالفاً للأعراف، للأديان و للثقافات... لا تقلق... اقبل كل طبيعي فالتدين الحقيقي غير موجود؛ اقبل الوجود فالمقدس الحقيقي غير موجود.

فقط راقب... في داخلك توجد الطبيعة؛ هناك في داخلك يوجد الوجود، اتبعه فقط و لن تضل السبيل... أن تكون روحانياً حقاً معناه أن تكون طبيعياً؛ أن تكون روحانياً حقاً معناه أن تكون متناغماً مع الوجود.

openkandil.com